رحلة عناوين روايات عربية إلى الغرب: عتبات وعقبات*

ألدو نيكوسيا/ إيطاليا

تهدف هذه الورقة إلى التعمق في عملية ترجمة عدد من العناوين لروايات عربية إلى بعض اللغات الغربية كمحاولة "لفك شفرات هذا الإله السردي الملغز القابع على غلاف الرواية واستنطاق دلالته"[١]. بطبيعة الحال، لا بد أن نستبدلها بأخرى لكنها أسهل هضماً من شفرات اللغة الأصلية. يعتبر الناقد جيرار جينيت[٢] العنوان من أهم العتبات النصية التي تسمح للقارئ ولوج عالم الخيال الروائي. قد تحسم كلمتان أو ثلاث، في معظم الأحيان، مصير الرواية بشكل حتمي، أي نجاحها أو فشلها. وبما أن العنوان نقطة حساسة في بناء الرواية قد نتساءل: أيولد العنوان قبل الرواية أم العكس أم يتعايشان؟ وفي هذا السياق، هل يمكن أن تسبب ترجمة العنوان زعزعة العلاقة المضمرة بين نص الرواية الأصلي وعنوانها؟

يدرك كل كاتب أن عنوان روايته بمثابة بطاقة تعريفية تميزها عن غيرها، تمامًا كاسم الشخص ولقبه، أو كبصمة الإصبع، غير قابلة للتغيير (باستثناءات قليلة جدًا)[٣]. علاوة على ذلك، من وجهة نظر القارئ، يُعدّ العنوان بوابةً إلى الرواية[٤]، رمزًا أو مفتاحًا لا تقتصر وظيفته على خلق وعدٍ بعالمٍ متخيل. من وجهة نظر الناشر، العنوان منتج جاهز للبيع (إلى جانب صورة الغلاف التي تُرافقه دلاليًا). أحيانًا، ينتابني شعور غريب بأن تصميم صورة الغلاف يحظى باهتمامٍ وعناية أكبر من تركيب كلمتين أو ثلاث في العنوان، أو أن هذا الأخير لا يُشكّل سوى شرحًا لصورة الغلاف.

---

[١] أمير المنصوري،"رحلة في شؤون عتبة عنوان رواية (نازلة دار الأكابر)" في www.hekmah.org (09.08.2021) (تاريخ دخول الموقع ٢٠ سبتمبر/ أيلول ٢٠٢٦)

[2]Gerard Genette, *Paratexts. Thresholds of Interpretation*, Cambridge, Cambridge University Press, 2001 (first edition 1987)

[٣] على سبيل المثال هناك رواية "زوج بغال" (٢٠١٨) اي (بغلان) بالدارجة المحلية، للكاتب الجزائري بومدين بالكبير. في الطبعات اللاحقة صار عنوانها "ثلاث حيوات". زوج بغال تشير الى معبر حدودي بين الجزائر والمغرب. أفترض أن من أسباب تغيير هذا العنوان هناك نوع من الرقابة الذاتية.

[٤] انظر: خالد حسين، حسين، *في نظرية العنوان، مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية*، دار التكوين، القاهرة ، د ت ، جميل حمداوي، سيميوطيقا العنوان، دار الريف، ٢٠٢٠، و بسام موسى قطوس، *سيمياء العنوان*، مكتبة كتابة ، عمان، ٢٠٠١

فكل الثقافات في العالم تتجه نحو المرئيات بشكلٍ متزايد، وغلاف الرواية يُشبه ملصق الفيلم أكثر فأكثر.

في هذه الورقة البحثية، حاولت التركيز على التغييرات التي طرأت على عناوين لعشرات الروايات العربية المترجمة إلى بعض اللغات الأوروبية، خاصة الإيطالية، ثم الفرنسية والإنجليزية (وأحيانًا الإسبانية، أو البرتغالية، أو الدنماركية). من خلال طرح فرضيات حول الأسباب المحتملة لهذه التغييرات وأصحابها المحتملين، حاولت تسليط الضوء على الطريقة التي تعكس بها مراكز القوة الثقافية، بما في ذلك دور النشر، لفرض أحكامها على العالم العربي، ولتعزيز أو تفنيد الصور النمطية الغربية عنه.

هذه ليست ورقة شاملة تدّعي تحديد مدى انتشار هذه الظواهر بدقة. من الناحية المنهجية، لم أستشهد بعناوين لم تطرأ عليها أي تغييرات (مع أنني أدرك استحالة التطابق التام بين مصطلح وآخر في لغات مختلفة. فحسب أومبيرتو إيكو (الترجمة هي "قول الشيء نفسه تقريبًا"). اقتصرت على عناوين الكتب التي لم ألحظ فيها تغييرًا جوهريًا، محاولًا فهم الفكرة أو الأيديولوجية الكامنة وراء التغيير، والذي يتسم أحيانًا بإضافة أو حذف كلمة أو كلمتين، أو باستبدال جذري بعنوان جديد، أحيانًا. صحيحٌ أيضًا أن ترجمة بعض العناوين أكثر تعقيدًا من غيرها، لا سيما إذا احتوت على أسماء لأشياء أو مفاهيم متميزة بثقافة مختلفة وتعبيرات اصطلاحية. ولكن في كثير من الأحيان، في عملية اختيار العنوان تتغلب اعتبارات السوق، أو الذوق الشخصي للمترجم أو مسؤولي دور النشر، أو الجهد الجدّي لمنح القارئ فهمًا أوضح لموضوع الرواية وتفاصيل أحداثها. يتناول باحثان من مالطا وظائف العناوين الأدبية، مُميّزَيْنِ بين العناوين الموجهة للقارئ وتلك الموجهة للمحتوى؛ إذ يُنظر إلى النوع الأول على أنه يمهّد للقارئ ما سيأتي لاحقاً، ويثير الفضول، ويوجه التركيز من خلال طرح شرط أو الإيحاء بعاطفة ما، وما إلى ذلك؛ في حين تقدم العناوين من النوع الثاني معلوماتٍ حول الموضوعة الجوهرية (الثيمة)، والشكل، والشخصيات، والرموز[5].

من المستحيل تحديد المسؤول عن تغيير العنوان بشكل واضح. أفترض، بعد التشاور مع عدد من زملائي المترجمين، أن المسؤولية غالبًا لا تقع على عاتق المترجم، فذلك أمر يدل على تهميش دور

[5]Charles Briffa; Roseline Caruana, “Stylistic Creativity when Translating Titles”, https://www.pala.ac.uk/uploads/2/5/1/0/25105678/briffa2009. pdf . (accessed 2026, September 21)

المترجم في مواجهة قوى السوق الجبارة. لقد رتّبت العناوين هنا حسب المنطقة الجغرافية وتاريخ نشر الترجمة، بهدف تتبع تطور التعامل معها من العقود الأخيرة من القرن العشرين حتى يومنا هذا. واستعرضت تجربتي المباشرة في اختيار العناوين في ترجماتي المنشورة (باستثناء عناوين القصص القصيرة).

الجزائر

لنبدأ بالجزائر لأن في بداية الألفية الجديدة، هاجر الكاتب عمارة لخوص إلى إيطاليا، ليصبح من بين الكتّاب الأكثر قراءة، ومثالًا ناجحًا ونادرًا للأديب الذي يقوم بالترجمة الذاتية ويتمتع بحرية اختيار عناوين رواياته.

"البق والقرصان" (١٩٩٩)، أول رواية للخوص، ترجم عنوانها إلى الإيطالية بشكل حرفي، ثم في نسخة لاحقة صار *Un pirata piccolo piccolo* (٢٠١١) (قرصان صغير جدًا) ليدل على الحالة النفسية والاجتماعية للبطل "حسينو". فهو يشعر بأنه "قرصان" متمرد على مجتمع فاسد وخانق؛ كما أنه يتماهى مع سلف تاريخي له، وهو قرصان أمازيغي. أما إضافة نعت "صغير جداً"، فتُضفي طابعاً من التواضع والدلع على شخصية القرصان؛ فهو رجل عادي يحاول أن ينجو وسط تفاهة العالم المحيط به واستبداده (عالم "البق" الذي اختفى في الترجمة).

أما الرواية الثانية التي ألفها لخوص تحت عنوان "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" (٢٠٠٣) فصدرت في إيطاليا بعنوان مختلف تمامًا بتأليف نفس الكاتب الذي صار يكتب رواياته الناجحة بالإيطالية: *Scontro di civiltà per un ascensore a piazza Vittorio* (٢٠٠٨) (صراع الحضارات حول مصعد في ساحة فيتوريو). تعد هذه الرواية إعادة صياغة الأصل العربي وليست ترجمة وفية. تشير "الذئبة" إلى أسطورة تأسيس روما والتوأمين (رومولوس وريموس) ويرمز الرضع إلى الاندماج واكتساب هوية جديدة للمهاجر في إيطاليا. في حين أن عضّة الذئبة تمثل مخاطر تجربة الهجرة ومعاناة التهميش والوحدة والاغتراب. ربما في ذهن الكاتب ذكر الذئبة في النسخة الإيطالية كان سيكون تافهًا وعاديًا. لذا، فضّل لخوص مصطلح "صراع الحضارات" الذي بدأ ينتشر في بداية القرن الجديد على إثر أحداث١١ سبتمبر/ أيلول في الصحافة والرأي العام

الأوروبي. في نفس الوقت ينبع حس الفكاهة من جمع مفهوم سياسي اجتماعي بحت مع حادث تافه كمشاجرة بين الجيران في بناية تقع في منطقة شعبية في روما.

عام ٢٠١٠ صدرت روايته الثالثة المعنونة بالإيطالية *Divorzio all'islamica a viale Marconi* (طلاق على الطريقة الإسلامية في شارع ماركوني). تدور أحداث هذه الكوميديا السوداء في روما، مرة أخرى، وتحديداً في حي "شارع ماركوني". ويُعد مركز الاتصالات والمقهى المعروف باسم Little Cairo نقطة الالتقاء للمهاجرين المسلمين في المنطقة. تُسرد الرواية من خلال صوتين: صوت "عيسى" (وهو شاب إيطالي تخرج في تخصص اللغة العربية ويعمل متخفياً لصالح أجهزة الاستخبارات الإيطالية)، وصوت "صوفيا" وهي شابة مصرية طلقها زوجها لثلاث مرات. النسخة العربية التي تبعت الإيطالية جاءت تحت عنوان مختلف تماماً لأن موضوع الطلاق الإسلامي ليس غرائبياً ولافتًا للنظر بالنسبة للقارئ العربي: "القاهرة الصغيرة" (٢٠١٠)، إشارةً الى اسم المقهى المذكور.

أحدث رواية له "طير الليل" (٢٠١٩) تمت ترجمتها إلى ثلاث لغات (الإيطالية والفرنسية والإنجليزية) بنفس العنوان وهو "خصوبة الشر". أخبرني الكاتب أنه أصر على ترجمة العنوان بطريقة موحدة ومختلفة عن الأصل، استنادًا إلى مقولة للفيلسوفة حنا أرندت المقتبسة عن عملها "تفاهة الشر" (المقولة اختفت في بداية النسخة الإيطالية لأسباب غير معروفة).

تدور أحداثها في مدينة وهران على خطين زمنيين، أحدهما يبدأ من الخمسينات من القرن الماضي ويصل الى الحاضر، والثاني يدوم أقل من ٢٤ ساعة. بسبب الفساد والابتزاز وخيانة مبادئ الثورة الجزائرية؛ انتشر الشر وصار "خصباً" لأن البلاد توقفت عن مواجهة ظلالها وماضيها. يشير العنوان الجديد إلى أرضية خصبة تولّد الشر المستشري والذي يتجاوز مجرد الجريمة التي تشكل محور التحقيق في الرواية. أما "طير الليل" في العنوان الأصلي فكان يشير إلى لقب "بطل" الرواية الذي كان قد كافح في حرب الاستقلال الجزائري وبعد عقود صار رمزًا لخيانة قيم الثورة لمصالح شخصية. أدى ذلك التغيير الجذري إلى حذف استعارة طير الليل (الخفاش) ليستبدله بطير آخر في متن النص وهو الهدهد، والمفارقة أنه يتسم بدلالات مختلفة غير سلبية.

من بين استراتيجيات تعديل عناوين الروايات هناك إضافة المعطيات المكانية واسم البطل، إذا كان غير مذكور. فمثلاً أصبح عنوان "حارس الظلال" (١٩٩٧) لواسيني الأعرج، عنوانًا فرعيًا بعد *Don Chisciotte ad Algeri* (١٩٩٩) (دون كيشوت في الجزائر العاصمة) في النسخة الإيطالية. في مثل هذه الحالات، يضمن ذكر شخصية أدبية مشهورة إقبالاً أكبر على الرواية. ثم إضافة المكان لتحديد حضور البطل على خارطة الرواية لا تثقل العنوان. يوجد هذا النمط من التغيير في أمثلة عديدة أخرى.

في ثلاثيتها اختارت الكاتبة أحلام مستغانمي عناوين استفزازية ومخادعة لتوقعات القراء، مركزة على الشهوانية والرغبة في قلب السرد من أجل كسر المحظورات. فللوهلة الأولى يظن القراء أن عنوان الجزء الأول من الثلاثية وهو "ذاكرة الجسد" (١٩٩٣) سيحيل إلى رواية عاطفية أو حسية، لكنه سرعان ما يتبين أننا أمام ملحمة تاريخية حيث يصبح الحب انعكاسًا للخيبات السياسية وضياع الأحلام بعد الاستقلال. أصبح هذا العنوان بالإيطالية مطابقًا للأصل، ***La memoria del corpo (2002)***، بينما في اللغتين الإنجليزية والفرنسية تم استبدال الجسد باللحم البشري (flesh، chair)، ربما لجذب القارئ نحو تخييل عوالم التشويق ومواضيع محرمة. يتمثل الجسد في ذراع بطل المبتورة لتختزل ذاكرة الثورة. في طبعة لاحقة بالإنجليزية، صدرت عن دار نشر آخرى، أصبح العنوان *Bridges of Constantine* (٢٠١٣) (جسور قسنطينة) ، فأخيرًا أعيد انتباه القارئ من الجسد إلى المدينة التي ينتمي إليها بطل الرواية.

عند قراءة عنوان الجزء الثالث من الثلاثية نفسها "عابر سرير" (٢٠١٣)، يتبادر إلى ذهن القارئ إيحاء جنسي بسبب كلمة "سرير"، فابتكرت الكاتبة تلاعبًا ظريفًا بين "عابر سبيل" و"عابر سرير". ربما يجعل ذلك العنوان الكثيرين، بما فيهم أنا، يتخيلون بطلاً نطّاط أسرّة، لكن في الواقع، بعد قراءة الرواية نفهم أنه يشير إلى فلسفة وجودية، وإلى مراحل الحياة المختلفة، من المهد إلى سرير الموت. فيعيش بطل الرواية عابرًا بين أسرّة الغربة والمستشفيات. تحول العنوان الأصلي المراوغ إلى *The Dust of Promises* (٢٠١٦) (غبار الوعود) باللغة الإنجليزية، يوحي الغبار بحالة نفسية بلا جذور ومعلقة بين الحنين إلى الوطن والغربة في أوروبا الباردة.

تونس

في الرواية المشهورة "الدقلة في عراجينها" (١٩٦٩)، للكاتب التونسي البشير خريف، تصير النخلة رمزًا لوجود الإنسان في منطقة قاحلة وصحراوية بعيدة كل البعد عن التحضر ومطحونة من طرف تقاليد قاسية تجهض طموحات الفرد. يظل هذا الرمز المحوري خلال كل الرواية بداية من العنوان. فتتميز الدقلة في الغصن الذي تتعلق به (العرجون) بالطراوة والمذاق اللذيذ لأنه يغذيها ويساعدها على الحفاظ على رطوبتها. تعود الترجمة الفرنسية الوحيدة المتوفرة، المعنونة ***La terre des passions brulées*** (أرض الأشواق المحروقة) إلى الثمانينات من القرن الماضي عندما كان بعض المترجمين يرتكبون "جرائم" جسيمة بحذف مئات الأسطر من النصوص الأدبية بوقاحة لا توصف. في مقدمة الترجمة نجد تبريرًا لتغيير العنوان الذي شوه روح النص أكثر من المعتاد[٦].

يرافقنا الأديب الفنان علي الدعاجي، الذي توفي عام ١٩٤٩، في "جولة بين حانات البحر الأبيض المتوسط" (١٩٦٢) إلى أماكن كثيرة في أوروبا والشرق الأدنى. في النسخة الإيطالية مصطلح "حانات" أصبحت caffè (مقاه) لكن النص يشير إلى أماكن يُقدَّم فيه الكحول (bars) ؛ لذا كانت الترجمتان الفرنسية والإنجليزية أدق من الإيطالية، وفي نفس الوقت تدلان على سلوك صاحب المذكرات وعاداته.

في بداية هذا العقد حصدت الكاتبة أميرة غنيم الكثير من الجوائز بروايتها "نازلة دار الأكابر" (٢٠٢٠). بعد ثلاث سنوات قد أغفلت الترجمة الإيطالية للرواية مصطلح "نازلة" المهم، ربما بهدف تجنب كلمة لها دلالات سلبية، إلّا أن النتيجة جاءت جامدة للغاية، في حين أبقت النسختان الفرنسية والإنجليزية هذا المصطلح. و إذا قارننا بين

- *Le desastre de la maison des. notables*. (٢٠٢٤)
- *A Calamity of Noble Houses* (٢٠٢٥)

نلاحظ أن في النسخة الإنجليزية، ترد كلمة "Houses" لترجمة "دار" بصيغة الجمع، إذ تشير إلى العائلات المتعجرفة المتعددة التي تنتمي إلى البرجوازية الثرية أو الطبقة الأرستقراطية في تونس النصف الأول من القرن العشرين. ولتوضيح حجم ما يُفقد عند ترجمة العنوان الإيطالي بحذف "نازلة"، أوردتُ دراسة تأويلية حول وظيفة هذا المصطلح، حسب باحث تونسي:

---

[٦] مقدمة لرواية "أرض الأشواق المحروقة" للمترجمين آسيا جبار والهادي جبنون: "تستحضر الكلمة الثانية —عذقُ رُطَبٍ قُطِعَ لتوّه — لحظة السقوط، وثمرةً مقطوفةً قبيل تذوّقها ؛ وهي ترمز، على الصعيد المجازي، إلى أملٍ شبابي يرى رغبتَه تُمحى في اللحظة ذاتها التي كانت قاب قوسين أو أدنى من التحقق". (ص ٨)

"أننا إزاء تعدد في النوازل رغم أن الكاتبة حددت نازلة بعينها وهي الورقة التي التقطها (امحمد) من الأرضية حالما سقطت من الخادمة (الخالة لويزة) وظل ما فيها سرًا انكشف في النهاية. (...) نجد نازلة أولى غير نصية أو هي تتعالى عن السياق وهي الروائية التي حلت بديار الأكابر لتعري لنا حالهم وتفضح سوء أفعالهم وسلوكاتهم (...). هناك نوازل نصية وضمنية غير مباشرة: بدءاً بالنازلة الثالثة التي تمثلها شخصية الطاهر الحداد الذي حل بالدار معلمًا وغدا عشيقًا ومعشوقًا لابنتهم وقد لعب دورًا هامًا في زعزعة أركان الديار وفي دفع الحدث السردي نحو النهاية. أما النازلة الرابعة فهي الخادمة لويزة التي نزلت بديار النيفر على مضض منهم وبرغبة زوج ابنهم. النازلة الخامسة هي نازلة مجردة لا محسوسة وهي فكر الطاهر الحداد التنويري"[٧]. شخصيًا لا أقتنع بوجود كل هذه النوازل لكني أظن أن إضافة "رسالة" إلى "دار الأكابر" في العنوان الإيطالي كانت ستثير فضول القرّاء.

رواية "نساء البساتين" (٢٠١٠) لحبيب السالمي جاء عنوانها بالإيطالية حرفيًا، لكن المشكلة أن لا أحد يعرف في إيطاليا ما هي أو أين تقع "البساتين"؛ لذا كان من المُفضَّل حذفها واستبدالها بكلمة أخرى. الترجمة الفرنسية تتمثل في جملة مأخوذة من متن الرواية، تتسم بقدر عالٍ من السخرية "ابتسموا، أنتم في تونس" (الفارق الوحيد أن في الأصل كان فعل الأمر بصيغة المفرد). كانت الجملة تدل على إعلان تجاري معلق على حافة شارع. كثيرًا ما تتميز روايات الحبيب السالمي بحس فكاهي ساخر. حتى مصطلح "البساتين" يوحي بمكان جميل ومريح للأعصاب، لكنه ليس اسماً على مسمى، على الإطلاق.

المغرب

صدرت رواية محمد شكري "الخبز الحافي" بنسخة إنجليزية تحت عنوان*For Bread Alone (١٩٨٢)* بفضل الأديب الأميركي بول بولز، وهو تنويع على مقولة إنجيلية: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان". العنوان الفرنسي *Le pain nu (١٩٨١)* ألهم العناوين الأوروبية الأخرى بما فيها الإيطالي *Il pane nudo* (١٩٩٢). في الإنترنت عثرت على معلومات تفيد أن هناك ترجمة

[٧] أمير المنصوري " نفس المصدر المستشهد "رحلة في شؤون عتبة عنوان رواية "نازلة دار الأكابر".

جديدة في إيطاليا على الأفق بعنوان مختلف سيكون *Il pane asciutto* (الخبز الجاف)، لتجنب العنوان السابق سيوضع عنوان أبعد من معنى الخبز عند شكري.

تُرجمت رواية "العلامة" (٢٠٠٢)، للكاتب بنسالم حميش؛ إلى الإيطالية، تحت عنوان "رواية ابن خلدون" وبعدها صدرت الترجمة الفرنسية بالعنوان نفسه؛ وفي هذه الحالة النادرة جداً، ينسخ العنوان الفرنسي نظيره الإيطالي. إضافة اسم بطل الرواية أعتبره ضروريًا لجذب القراء بناء على الشهرة النسبية لهذه الشخصية التاريخية في إيطاليا.

في رواية "من خشب وطين" (٢٠٢٢)، لمحمد الأشعري، قمت باستبدال المادتين - اللتين تشيران إلى بناء منزل بدائي في غابة مغربية ومجازيًا إلى الرجوع إلى الانسجام بين الإنسان والطبيعة - باسم بطل الرواية، إبراهيم، يليه حيوان يشاركه البطولة وهو القنفذ.

الأردن وفلسطين

فيما يتعلق برواية جلال برجس "دفاتر الورّاق" (٢٠٢٠) وترجمتها إلى الانجليزية ب *The bookseller's notebooks* تجدر الإشارة إلى أنه تم تكرار كلمة book مرتين لتركيب كلمتين. فتبرز هذه الترجمة نقص المفردات الإنجليزية بالمقارنة مع غنى العربية التي تستخدم كلمتين من أصل مختلف وهما دفتر وورّاق.

ترجمت عنوان رواية الكاتبة الفلسطينية سحر خليفة "مذكرات امرأة غير واقعية" (١٩٨٦) إلى الإيطالية بالآتي *La svergognata* (١٩٨٩) (المرأة عديمة الحياء) في حين أن الترجمتين الانجليزية والفرنسية اتسمتا بالحرفية. ربما كان الخيار الإيطالي محاولة تجارية لترويج الرواية القادمة من الشرق العربي قبل ثلاثة عقود.

في مجال المذكرات نفسه، خلال تنسيق مشروع ترجمة جماعية لشهادات مئات الناجين في غزة خلال عام ٢٠٢٣ و٢٠٢٤، قمت أنا وزملائي المترجمون بتجربة ديموقراطية في انتخاب عنوان مجموعة الشهادات "لي يدان لأكتب" (٢٠٢٤). بأغلبية الأصوات قررنا تعديلاً بسيطًا للعنوان المذكور ليصبح "لا تزال لديّ يدان لأكتب" (*Ho ancora le mani per scrivere*)

(٢٠٢٥). أضفنا "لا تزال" لأن العنوان الأصلي (المشتق من نص نثري شاعري للكاتبة الفلسطينية شروق دغمش) كان سيبدو تافهًا أو مبتذلاً نوعاً ما للقارئ الإيطالي. هذه الإضافة تنقل فكرة أساسية وهي أن سلامة الأطراف في غزة بعد عام ٢٠٢٣ مجرد معجزة بعيدة كل البعد عن المألوف.

في السنوات الأخيرة ظهرت حكاية "سر الزيت" (٢٠١٨) للشهيد وليد دقة بلغات متعددة، التركية والإسبانية والفرنسية وترجمتي الإيطالية. كلها حافظت على رمز الزيت في العنوان، في حين أن في النسخة الدنماركية *Under muren (٢٠٢٠)* ("تحت الجدار")، حذف هذا الرمز الجوهري، غير أنه على الأقل يبرز خطورة جدار الفصل العنصري الذي بناه الاحتلال لقطع أوصال المناطق الفلسطينية.

مصر

من بين أعمال نجيب محفوظ نلاحظ حرفية في ترجمة عناوينها مع إضافات تهدف إلى تحديد هوية الاسم الوارد فيها. فمثلاً رواية "الكرنك" (١٩٧٤) كانت تحتاج إلى توضيح، لتجنب سوء تفاهم مع اسم المعبد الشهير الواقع في الأقصر. اختار محفوظ هذا الاسم لمقهى ليجسد مصر بحضارتها وتاريخها والتحولات التي تمر بها. بالإنجليزية والفرنسية صار العنوان *Café Karnak* وفي الإيطالية حُذف اسم "كرنك" ليصير *Il caffè degli intrighi* (٢٠٠٤) (مقهى الدسائس) لإغراء القراء. أما في ما يخص رواية "الحرافيش" فتمت إضافة كلمة "ملحمة" في الترجمة الإيطالية لتعلن عن مغامرات أجيال لنفس العائلة. كما كانت رواية "شرف" لصنع الله إبراهيم تحتاج إلى شرح معنى اسم البطل الرمزي فجاء بالفرنسية *Charaf ou l'honneur (٢٠٠٤)*. النعت "مصرية" مضاف في كل من النسخة الإنجليزية لرواية "الأرض" (١٩٥٤)، لعبد الرحمن الشرقاوي، والنسخة الإيطالية لـ "امرأة عند نقطة الصفر" لنوال السعداوي تصبح *Firdaws. Storia di una donna egiziana* (فردوس: قصة امرأة مصرية) (١٩٩٤). يثير فيّ هذا العنوان تساؤلاً: هل توجد رواية غربية تحمل عنواناً يحمل اسم علم، تليه جملة مثل "قصة امرأة فرنسية أو أميركية أو إنجليزية"؟

من رواية "مالك الحزين" (١٩٨٣) لإبراهيم أصلان، تم اقتباس- بشكل حر- فيلم ناجح على مستوى النقد وشبابيك التذاكر، تحت عنوان "الكيت كات" للمخرج داود عبد السيد (١٩٩١). وبلا شك تأثر العنوان الفرنسي بإخراج هذا الفيلم، فأصبح ***Kit kat café***. كان العنوان الإنجليزي حرفيًا The Heron (٢٠٠٩) وأيضًا الاسبانية، La garza (٢٠٠٤). وعلى أية حال، رغم أن في الرواية لا تظهر الإشارة إلى هذا الطائر إلّا في جملة استهلالية إلّا أن مزاجه الخاص يضفي على النص أجواء الشجن؛ وفي الوقت نفسه، يمكن للمقهى ذاته أن يمثل نموذجاً مصغراً للمجتمع المصري، تماماً مثل "عمارة يعقوبيان" لعلاء الأسواني الذي اشتهر بسرده الواقعي عن تطورات مصر خلال أكثر من نصف قرن. ويبدو عنوان روايته الأخيرة "جمهورية كأنّ" (٢٠١٨) كأنه بيان سياسي يعكس جو ثورة ٢٠١١. كانت الترجمة الإسبانية حافظت على كلمة "جمهورية" ***La república era esto*** (٢٠٢١) في حين أن العنوان الأصلي كان يدل على خداع المواطنين من جهورية مزعومة أو وهمية. كما أبرز العنوان الإنجليزي هذا الحكم الجازم للوضع السياسي في مصر تحت رئاسة حسني مبارك: ***The Republic of False Truths***. (٢٠٢١) (جمهورية الحقائق الزائفة). في فرنسا فضل الناشر تجنب استعمال مصطلح تجريدي مثل "جمهورية" قد يناسب مقالًا أكثر منه رواية. فاختار جملة مأخوذة من الرواية***J'ai couru vers le Nil*** (٢٠١٨) ("جريت ناحية النيل). كالعادة، النسخة الإيطالية التي صدرت عام ٢٠٢٠ أي بعد سنتين، تنسخ وتلزق العنوان الفرنسي، بالتمام والكمال. وتقدم النسخة الدنماركية (٢٠١٩) العنوان نفسه. يعلق البعض أن هذا العنوان المستجد يستحضر أنفاس الثورة المصرية وتوتراتها، ويقول صحفي "ربما أراد الأسواني أن يستثير منه بعض الإيحاءات، مثل الركوض واللهث وجريان المياة، ورمز النيل الخالد والأمل (...)، للتنويه عن محتوى الرواية."[٨] وذلك إذا افترضنا أن الكاتب هو الذي اختار العنوان الفرنسي.

عام ٢٠١٨ قمت بترجمة رواية "ليل ونهار" (٢٠٠٤)، لسلوى بكر، وفي تلك المناسبة ابتكرت عنوانًا جديدًا بالإيطالية أقنعني أكثر من الأصلي، وهو ***Il concorso*** (المسابقة). كان "ليل ونهار"

---

[٨] محيي الدين غريب,"مراجعة نقدية لكتاب د. علاء الأسواني: ها أنا أركض نحو النيل (جمهورية كأن) في https://alhouria.com/2919/%D8%AC%D9%85%D9%87%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D9%83%D8%A3%D9%86 (24 أكتوبر/ تشرين الأول، ٢٠١٩)

اسم المجلة التي كانت تشتغل فيها بطلة الرواية، ولو تركته كعنوان لما فهم القارئ الإيطالي موضوعة الرواية الرئيسية.

لبنان

اشتهر الكاتب رشيد الضعيف بعناوين روائية ظريفة لا مثيل لها، تمتزج فيها العامية اللبنانية والفصحى، فيجب على من يقوم بترجمة عناوين رواياته أن يحترم روحه الفكاهية الرفيعة. تُرجمت رواية "تصطفل ميريل ستريب"(٢٠٠١) بطرق شتى ومتنوعة، لدرجة أنها تكاد تكون رقماً قياسياً في حجم وعدد التعديلات الأجنبية لهذا العنوان الغريب.

١. *E chi se ne frega di Meryl Streep?* (إيطالية)
٢. *Qu'elle aille au diable, Meryl Streep* (فرنسية)
٣. *Al diablo con Meryl Streep* (إسبانية)
٤. *E quem è Meryl Streep*? (برتغالية)
٥. *Who's afraid of Meryl Streep?* (إنجليزية)

في النسخة الإيطالية نلاحظ أنّ الفعل "اصطفل" مترجم بفعل متكافئ دارج. الترجمتان الفرنسية والإسبانية تشحن قوة الفعل إلى درجة الشتيمة، في حين أن البرتغالية تخففه (ومن تكون ميريل ستريب؟). أما الانجليزية فتستحق التوقف عندها لأنها تغير المعنى العام (من يخشى ميريل ستريب؟). هذا الخيار تلاعبٌ بمسرحية إدوارد ألبي (Who's Afraid of Virginia Woolf?)؛ تتناول مسألة التخلي عن الأكاذيب المريحة ومواجهة الواقع كما هو دون تجميل. في روايته يلعب الكاتب رشيد الضعيف على أوتار المراجع الثقافية ووسائل الإعلام الغربية. يشاهد البطل ميريل ستريب في فيلم "كرامر ضد كرامر" ويشعر بأنها تهدد أفكاره بسبب شخصيتها القوية والمتحررة.

في النسخة الإيطالية تحوّل عنوان رواية "أميركا" (٢٠٠٩) للكاتب ربيع جابر إلى *Come fili di seta* (٢٠١١) (مثل خيوط الحرير)؛ إشارةً إلى يدي بطلة الرواية، فيبدو أن محور الرواية

صار البطلة وملامحها الشاعرية. بقي العنوان المستخدم في النسختين الفرنسية والإنجليزية *Amerika* مكتوباً بحرف K.

ضد الأدب اللبناني ارتكبت عدة "جرائم" تغيير جذري لعناوين بعض الروايات: "حكاية زهرة" (١٩٨٠)، لحنان الشيخ؛ تُرجمت بعنوان إيطالي وقح *Mio signore, mio carnefice* (٢٠١٣) ("سيدي وجلادي"). من هذا العنوان نتوقع مغامرات عاطفية وتجارب عنف متداخلة توحي بنوع من الاستشراق حتى المازوخية. "مسك الغزال" (١٩٨٩) لنفس الكاتبة تُرجمت بعنوان *Donne nel deserto* (١٩٩٤) (نساء في الصحراء). لتدل على مكان التقاء أربع نساء وتحدد بيئة خليجية غامضة. "إنها لندن يا عزيزي" (٢٠٠١) تُرجمت بعنوان *Fresco sulle labbra, fuoco nel cuore* (٢٠١٣) (برودة على الشفاه، ونار في القلب). يبدو لي أنه من بين العناوين الأكثر استشراقًا، في حين أن النسخة الإنجليزية صارت*Only in London* (٢٠٠١). نجد أجواء رومانسية مماثلة في رواية "دنيا" (٢٠٠٧) لعلوية صبح، ترجم عنوانها *I miei sogni nei tuo*i (٢٠١٣) (أحلامي في أحلامك) رغم اعتراض المترجم على هذا الاختيار. بعيدًا عن الأجواء الرومانسية، نلاحظ بلوغ قمة النزعة الاستشراقية في عنوان رواية "نساء الريح" (٢٠٠٣) لرزان المغربي من ليبيا، فأصبح العنوان بالإيطالية *Le donne del vento arabo (٢٠١١)* (نساء الريح العربية). ذلك تثير فيّ تساؤلًا دقيقًا: كيف ستكون هذه الريح "العربية" بالذات؟

نواصل جولتنا بين الأجواء الاستشراقية مع رواية "طواحين بيروت" (١٩٧٢) لتوفيق يوسف عواد. الترجمة الاتجليزية *Death in Beirut* (٢٠١١) (الموت في بيروت) حوّل التركيز من رمز الطواحين إلى مفهوم الموت الجاف. في مخيلة الغرب يبقى لبنان مشحونًا بدلالات جنائزية ومروّعة. العنوان الفرنسي *Dans les meules de Beyrouth* (٢٠١٢) (بين رحى طواحين بيروت) ينوي إبراز وطأة قوة المدينة الساحقة كطاحونة ضد سكانها.

العراق

يمثل عنوان رواية "إعجام" (٢٠٠٣) للكاتب العراقي سنان أنطون تحديًا كبيرًا لكل مترجم، لأن الإعجام مصطلح متميز باللغة العربية (وضع النقط على الحروف لتجنب الإبهام). ومن المؤكد أن

القارئ غير العربي يجده غير مفهوم لو تُرجم حرفيًا dotting. ولكن العجيب الغريب أن النسخة الإنجليزية تضع هذا المصطلح بحروف لاتينية متبوعاً بكلمتين تحددان نوعية الرواية والمكان الذي تدور فيه أحداثها: *I'jaam. An Iraqi Rhapsody* (٢٠١١). الرابسودية هي مقطوعة موسيقية حرة تعبر عن مشاعر جياشة وملحمية. في هذه الحالة يبدو هذا الخيار مناسباً، لأننا أمام نصوص متنوعة مؤثرة ومؤلمة، تتناول المعاناة الجماعية، والذكريات، والواقع اليومي للأفراد الذين يعيشون تحت وطأة الاستبداد في العراق. فرات، بطل الرواية، طالب جامعي مسجون في الثمانينات من القرن الماضي يكتب حروف يومياته بلا نقط عمدًا لأنه يخاف من الرقابة وعواقبها. في الترجمة الإيطالية نسخوا العنوان الإنجليزي وأزالوا كلمة "إعجام" وذلك حل صائب في رأيي. تحول عنوان رواية أخرى لأنطون "فهرس" (٢٠١٦) التي تستحضر تقاليد الفهارس العربية التاريخية، إلى *The Book of Collateral Damage* (٢٠١٩) (كتاب الأضرار الجانبية). كنا قد لاحظنا التركيز الغربي لعناوين تشع انطباعات سلبية أو جنائزية عن العالم العربي. النسخة الإيطالية لا تستثنى عن قاعدة الخضوع للعنوان الإنجليزي بتعديل بسيط. فبدلاً من "كتاب" نجد "أرشيف"، وهو بلا شك أقرب من مفهوم "فهرس" الأدبي. بطل الرواية هو بائع كتب غريب الأطوار وغامض يكرّس حياته بأكملها لمشروع هائل؛ ألا وهو تجميع فهرس مفصل وموسوعي لكل شيء دمرته الحرب بما فيه الأشجار والحيوانات والجمادات، وحتى الذكريات. وتكمن أهمية العمل في أنه مثل كتاب "الفهرست" لابن النديم الذي يعود للقرن العاشر الميلادي يعطي صوتاً لكل شيء التهمه عنف الحرب، مقدماً بذلك تأملاً عميقاً حول الصدمة النفسية، والغربة، والذاكرة.

تستخدم رواية "وحدها شجرة الرمان" (٢٠١٣) لأنطون استعارة قوية تعبر عن تداخل الحياة والموت في بغداد. هناك شجرة رمان تنمو في الحديقة الواقعة خلف "المغيسل" حيث يتم غسل الموتى وتتغذى جذورها على المياه المستخدمة فيها. هناك طقس إسلامي آخر يربط شجرة الرمان بالموت: توضع أغصان الرمان (أو النخيل) بجوار الميت داخل الكفن. يتماهى بطل الرواية وهو فنان أجبرته الحرب والظروف على ممارسة مهنة غسل الموتى- مع شجرة الرمان؛ فهما يستمدان مقومات بقائهما من الموت. حافظت الترجمة الفرنسية *Seul le grenadier* (٢٠١٧) على استعارة الشجرة. أما في النسخة الإنجليزية *The Corpse Washer* (٢٠١٣) (غاسل الموتى) ضاع رمز الرمان وفي نفس الوقت تتعزز نزعة لزق مصطلحات متعلقة بالموت لرواية عربية.

الخليج العربي

"تغريبة القافر" للكاتب العُماني زهران القاسمي صارت بالإيطالية Il figlio del pozzo (٢٠٢٤) (ابن البئر) في ترجمتي المنشورة في أنطولوجيا تشمل أول فصل لـ 22 رواية[9] عربية.

"موت صغير" للكاتب السعودي محمد حسن علوان ترجمت حرفيًا بالإيطالية، وصار عنوانها في الإنجليزية *Ibn Arabi's Small Death* (٢٠٢٢). يعتبر ذكر "ابن عربي" طريقة سهلة ومنتشرة قي سوق النشر، نظراً لشهرته الواسعة خارج العالم العربي.

أما في ما يخص رواية أخرى لمحمد حسن علوان "جرمة الترجمان" (٢٠٢٢) غيَّرتُ العنوان إلى *Il dragomanno del sultano* (ترجمان السلطان) (٢٠٢٤). لا تستطيع أي ترجمة الحفاظ على الجناس الصوتي الرابط بين "جرمة" و"ترجمان". وقد فضلت عدم إدراج اسم بطل الرواية، في حين أن التركيز على كلمة "سلطان" قد يعطي فكرة أوضح لخضوع البطل لتقلبات مزاج السلطان التركي. اللافت للنظر أن في القاموس الإيطالي كلمة dragomanno (ترجمان) مشتقة من العربية عن طريق التركية، ولها نفس المعنى تمامًا، لكنها صارت قديمة ومتعلقة بمترجم العصور الوسطى الشفوي.

في الكويت، وبخصوص رواية "النجدي" (٢٠١٧) للكاتب طالب الرفاعي، تضيف النسختان الإيطالية والفرنسية مهنة النجدي وهويته: "البحار". أما في الإنجليزية، فقد اختفى اسم "النجدي" وبقي العنوان *The Mariner* (٢٠٢٠) فقط.

يبدو "حارس سطح العالم" (٢٠١٩) للكاتبة الكويتية بثينة العيسى عنوانًا غامضًا في حد ذاته. طبقت كل الترجمات الأوروبية المتوفرة نسخ العنوان الانجليزي الجديد *The Book Censor's Library* (٢٠٢٦) (مكتبة رقيب الكتب)، فصار محور العنوان المكتبة بدلاً من الرقيب الذي يكتسب دلالات أكثر سلبية من "الحارس". في ترجمة العنوان نفقد فكرة أساسية: البطل يقرأ الكلمات بلا تعمق باقيًا على سطح اللغة. تثير هذه الرواية مسألة تخص هذه الورقة: هل يمكن اعتبار إلغاء

[9] *Bidayàt*, (ed. by Aldo Nicosia), Progedit, Bari. 2024.

استعارات العناوين الروائية نوعًا من السطحية لتجنب الغوص في المعاني العميقة؟ هل يمكن أن نعتبر الترجمة بحد ذاتها تسطيحًا لمفاهيم مهمة، بسبب الاختلاف بين الثقافات؟

تثير رواية "عباءة غنيمة" (٢٠٢٢) لعائشة عدنان المحمود مسألة نقل "الأشياء الثقافية الحقيقية" من لغة إلى أخرى؛ هي مصطلحات متميزة مستعصية على الترجمة، إذ لا يمكن توضيح معناها إلّا عبر حاشية. ورغم أن كلمة "عباءة" قد دخلت القاموس الإيطالي الرسمي بصيغتها العامية، abaya إلّا أنّ معظم الإيطاليين لا يفهمون معناها؛ أما "غنيمة" فهي اسم لامرأة غامضة تظهر وتختفي عدة مرات. في ترجمتي ركزتُ على بطل الرواية بدلًا منها، وهو فيصل، تاركًا مجالاً للمرأة كشبح له دلالات متنوعة: *I fantasmi di Faysal* (٢٠٢٤) (أشباح فيصل).

في سبيل الخاتمة

غالباً ما يفضل الروائي استخدام رموز- سواء أكانت أشياء أو نباتات أو حيوانات- إلّا أن هذه الرموز قد تُستبعد أحياناً أثناء الترجمة لصالح التركيز على الشخصيات والأدوار والأماكن التي يُرجح أن تجذب انتباه القارئ.

في هذه الورقة، عبر أكثر من ٤٠ رواية عربية، رصدت بعض الاتجاهات والنزعات الموجودة في المشهد الثقافي الإيطالي خصوصاً والأوروبي عموماً؛ ملاحظًا أنّ بعض العناوين تتسم بطابع "استشراقي"- لا سيما في تسليط الضوء على العنف أو الموت- أو بطابع حسي وشهواني مبالغ فيه يُذكِّرنا بلوحات الرسام الفرنسي ديلاكروا، في الحرملك وأماكن غرائيبية أخرى. ومن الثوابت التي تتبلور من خلال هذا التحليل، أن إيطاليا تميل إلى متابعة خطى الترجمات الفرنسية أو الإنجليزية، ونادراً ما يحدث العكس، وأن الترجمات الإيطالية هي الأكثر جرأة أو تشويهًا في بعض الأحيان. وهناك اتجاه آخر يتمثل في اعتماد نهج أكثر جدية في معالجة العناوين وتكييفها خلال العقد الماضي؛ فعندما يُستخدم عنوان بديل، فإنه يُستمد دائماً من عبارة واردة داخل الرواية نفسها، غير مبتكرة من قبل المترجم أو القائمين على دور النشر.

ختاماً أتمنى ألّا يكون عنوان العمل المترجم محاولة لتكييفه مع قوانين السوق الثقافية للبلد المُستهدف، بل شرارة إبداع، بشرط أن يُخلق من البحث الدؤوب عن روح النص الأصل.

*نشر البحث في كتاب **ترجمة الجهات**. رحلة الأدب العربي إلى لغات االعالم. إعداد: علي العامري، الندوة الدولية الخامسة لمجلة "كتاب"، ١٠ و ١١ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٢٦. صادر عن هيئة الشارقة للكتاب.